

هو العليم

تفسير آية

الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ %

موعظة ليلة الثلاثاء

في

٢٧ شعبان ١٣٩٦ هـ / ١٣ يونيو ٢٠١٥ م

**المحاضرة العاشرة**

سَمَاحَةُ الْعِزَّةِ لِلرَّجُلِ

آيَةُ اللَّهِ الْحَاجِّ الْحَاجِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الطَّهْرَانِيِّ

أفاض الله علينا من بركات نفسه القدسية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المحاضرة



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وعلی الله علی محمد وآله الطاهرين.  
ولعنة الله علی اعدائهم اجمعين.

٨ الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ% (١)

كان الكلام حول إمكانية معرفة الله، وإثبات أنه يمكن أن ننال لقاء الله ونفوز برؤيته، وقد وصل بنا البحث إلى أنه لماذا لا يرى الكثيرون من الناس ربهم؟ بل إن بعضهم لا يعترف بالله! وذلك مع كون الله أظهر من كل شيء، وكون نور جماله سار في

تمام الوجودات، وأنه سار في كلّ موجودٍ من موجودات عالم الوجود، وجارٍ في علمه وقدرته وحياته؟!!

وهل يستطيع الإنسان أن يصل إلى مقام أسماء الله الحسنى وصفاته؟ - والحال أنّ هذه الصفات ظاهرة ومتحققة في الموجودات، وأنّ كلاً من هذه الموجودات يعدّ أحدَ أسماء الله، سواء أسماء الكليّة أم أسماء الجزئية - فهل يتمكّن الإنسان من إدراكها بعين قلبه، حتّى يصلَ إلى مرحلة الفناء في الذات الإلهية؟ أم أنّ ذلك مستحيل؟ وقد وصلَ البحث بنا إلى هذه النقطة.

لكي يتّضح المطلوب بشكل جليّ، وينكشف لنا بشكل وجدانيّ، ولكي نتممّ البحثَ ونكشف النقاب عنه من الناحية العلميّة، لا بدّ وأن نقول:

إنّ ذاتَ الله العليّ الأعلى أحدىّة، يعني: هي فوق أيّ اسم أو رسم، وهي ما فوق أيّ تعيّن، حتّى ذات الوجود المنبسط والذي هو خال عن جميع التعيّنات، فإنّه بلحاظ أنّه وجود ظلّي لوجود ذات الله، وكون وجود الله وجوداً حقيقياً، فسوف يكون للوجود المنبسط تعيّنًا حينئذٍ، لأنّ كلّ ظلّ بالنسبة إلى ذي الظلّ يكون له تعيّن.

فمن تلك الذات التي هي فوق الوجود المنبسط، أي الذات الأحدىّة التي لا اسم لها ولا رسم، من تلك الذات تنشأ سلسلة المراتب الوجوديّة: من العقل الأوّل، العقل الثاني، وسلسلة مراتب

العقول العشرة والنفوس، أو ما يطلق عليه بلسان الشرع أنه النور الأول:

"أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر"<sup>(٢)</sup> "أول ما خلق الله العقل"<sup>(٣)</sup> "أول ما خلق الله النور"<sup>(٤)</sup> "كنت نبياً وأدم بين الماء والطين"<sup>(٥)</sup> وجميع ذلك يدل على أن أول مخلوق في الأزل كان وجوداً واسعاً بحيث أن باقي الموجودات قد خلقت منه.

نعم، ذاك الموجود والذي هو اسم الله الأعظم من حيث السعة الوجودية، أوسع من ذلك بكثير، واستعداده وطاقته أشد وأوسع من الموجودات التي تتحقق بالأسماء الجزئية لله تعالى، وحدودها وتعييناتها من ناحية العلم والحياة والقدرة وسائر الصفات أقل وأضيق.

ثم بعد ذلك تظهر مراتب الخلق في السلسلة المتنزلة، بدءاً من النور الأول أو العقل الأول أو الاسم الأعظم، وصولاً إلى المرحلة الأسفل والعالم الأنزل الواقع في آخر تلك السلسلة، ثم الأسفل والأسفل.. إلى أن تصل إلى هذا العالم، أي عالم المادة، وهو عبارة عن أظلم العوالم، فعالم المادة هو عالم الجسم، وله حدوده الزمانية والمكانية، وهو عالم الكون والفساد وعالم

٢ - بحار الأنوار ١٥: ٢٤.

٣ - عوالي اللآلي ٤: ٩٩ وبحار الأنوار ١: ٩٧.

٤ - بحار الأنوار ٥٤: ٣٠٩.

٥ - عوالي اللآلي ١: ٤١٨ وبحار الأنوار ١٦: ٤٠٢.

التغيّرات والآفات، وسعته الوجوديّة أقلّ من جميع العوالم، وإحاطته أضعف من سائر العوالم، وهو أظلم العوالم وأضعفها.

فالنور الإلهيّ وكذلك القدرة الإلهية والعلم والحياة، قد سرى في جميع الموجودات، وأصبحت بتمامها ظهوراً له، لأجل ذلك، فإنّ تلك الصفات الصادرة من الله، قد ملأت عالم الوجود، وعالم الوجود هو أسماء الله وكلماته، وهو عبارة عن حقائق تمثّل آيات وعلامات دالة على ذاته تعالى، وتحكي صفاته الحسنی، فهي مظاهر تلك الأسماء والصفات، وهذا ما نسميه الجمال.

فالصفات الإلهية تسمى الجمال، ما هو الجمال؟ الجمال هو علم الله، قدرة الله، حياة الله، وجود الله الساري والجاري في هذه المظاهر وضمن هذه العوالم، وحينئذٍ تصبح كلّها جمالا.

فمن جهةٍ، نكون بالمقدار الذي ندركه من الرحمة الموجودة في هذه المظاهر الوجودية، وما نحسُّ به من السعة والبركة والحياة والعلم والقدرة والجمال والحسن، ممّا هو كائن في هذه الموجودات وقابلٌ للإدراك بالنسبة لنا، وملائمٌ لطباعنا، نسميه بصفات الجمال، ومن جهةٍ ثانية، فإنّ هذه الصفات الكائنة في أيّ من الموجودات - ولكن في رتبةٍ وجوديةٍ أعلى وأقوى - والتي يمكن إدراكها بالنسبة إلى ذاك الموجود الأعلى، وغير قابلة للإدراك بالنسبة إلى الموجود الأسفل، فإنّها بالنسبة إليه ماذا تسمى؟ تسمى جلالاً.

من باب المثال: التلميذ الذي يذهب إلى المدرسة ويتعلم الألفباء، فهذه الألف والباء جمالٌ بالنسبة إليه، لأنها بالنسبة إلى مستواه قابلة للفهم، وأما علمُ أستاذه بالنسبة إليه فإنه غير قابل للإدراك، فحينئذٍ سوف تكون معلوماتُ أستاذه وعلمُه جلالاً بالنسبة إليه، أي لا يمكنه أن يهتدي إلى طريق الوصول إلى علم أستاذه، فعلمُ أستاذه قد بلغَ النهاية، وهو في الدرجة الأقوى والأعلى.

والشخص الذي يمتلك درهماً، ويكون مانوساً به، فهو جمالٌ بالنسبة له، إلا أن نفسَ هذا الشخص الذي يكون الدرهم جمالاً بالنسبة له، لو كان هناك شخص آخر يمتلك مائة درهم أو ألفاً، أو مليون درهماً، ففي حالة عدم تمكنه من امتلاكه مثله سوف يكون امتلاك هذا المبلغ جلالاً بالنسبة له؛ يعني: هو عاجز عن امتلاك المليون درهم، وإن بلغه أنه قد ورثَ مليون تومانا من زيد، وسوف يصاب بسكتة من شدة الفرح؛ يعني: إن وجوده قاصر عن تحمّل هذا الحجم من الملكية.

كذلك الأمر بالنسبة إلى أسماء الله وصفاته، فليس لله نوعان من الرحمة.. أو نوعان من العلم.. أو نوعان من الحياة.. نوعان من القدرة.. ونوعان من سائر الصفات الأخرى.. لا، وإنما تلك الصفات حينما تتشخص في عالم الإمكان وتلبس بماهياتها - وتتشكل ضمنَ قلبها وماهيتها التي تحدّد وجودها التي تفيض عليها كينونيتها الوجودية - فإنها لا تكون إلاً جمالاً حينئذٍ، إلا أن

٧

المراتب الأعلى سوف تكون جلالاً بالنسبة لهذه الماهية؛ يعني: سيقال لهذه الماهية: لا يحق لك أن تتقدمي إلى الأمام، وإن اقتربت سوف تحترقي.

فالذي يقدر على وضع جمرة في كفه دون أن يصاب بأذى، لا يستطيع إلقاء نفسه في النار ويحرق رأسه وقدمه! فمع أنها نار في كلا الحالين، إلا أن الفارق هو أن الأولى تقبل التحمل، بخلاف الثانية فإنها لا يمكن تحملها.

هذا هو معنى صفات الجمال والجلال، وهو الذي ورد في الآية الشريفة:

تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ<sup>(٦)</sup> وليس بمعنى أن هناك نوعين للصفات الإلهية، بحيث أن الله تعالى من نفسه نوعان من الصفات المتضادة، واحدة باسم الجمال والأخرى باسم الجلال، يترشحان من مقام ذاته ويتعيانان في مقام التعيين، لا.. فأول اسم لله هو اسم "هو" أو اسم "أحد" أو اسم "الحي" ومنها يتشعب اسم "العالم" و"القادر"، ومنها تنشعب سائر الأسماء.

غاية الأمر أننا نلاحظ هذه الأسماء والصفات ضمن مراتبها المتنزلة بواسطة اعتبارين: فبالمقدار الذي تنزلت وسرت في الموجودات، وصنعت وجود الماهيات وحققت كينونيتها، وملأت كل ماهية بحدود سعتها وظرفيتها الوجودية، وهذا يطلق عليه أنه

الجمال، وأمّا بلحاظ المقدار الأعلى والأرفع ممّا لا يقبلُ الفهم والإدراك بالنسبة لهذه الماهيّات، فهو جلال.

النساء المصريّات كنَّ جميلات، وكان جمالهم بالنسبة إليهم قابلاً للتصوّر والإدراك، لأنّ وجودهم مصنوعٌ من ذاك الجمال ومخلوق من تلك الرتبة، لأجل ذلك حينما كانوا يرونَ وجوههم في المرآة لم يكونوا ليقطعوا أيديهم؛ وأمّا حينما تجلّى أمامهم جمالُ يوسف الذي كانت رتبته الوجوديّة أقوى من طاقتهم، فإنّه خطف أبصارهم وإدراكهم بإدراكهم، وعطل حواسّهم، وأخذوا بتقطيع أيديهم بدلاً من "الأترج".

لأجل ذلك، لو كان علمُ أحد الأفراد يعادل ألف درجة، وكانت هذه الألف درجة هي سعة علمه الوجوديّة، فلو أرادَ أن ينالَ علماً يعادلُ درجةَ المليون، فسوف لا يمكنه تحمّله، والحال أنّه علمٌ ليس إلاّ، إلاّ أنّه علمٌ وفير.. علمٌ واسع.. علمٌ محيطٌ، وهو جلال بالنسبة له.

من باب المثال، الله العليّ الأعلى مثل الشمس، ولا يُفيضُ من ذاته إلاّ النور، فلا شيء غير النور، ولا يكون لهذا النور المتجلّي اسمان حدهما: الجلال والآخر الجمال، وإنّما هو نور فحسب، ولكنّ ضمن مرحلةٍ يتنزّلُ فيها هذا النور إلى هذا العالم يوجد مراتب متفاوتة، والرتبة التي يمكنُ أن تدركها عيوننا هي هذه الرتبة من الأنوار، وليس لأعيننا أن تدركَ الرتبة الأعلى من هذا النور، وسوف تضمحلّ عيوننا فيما لو أردنا مشاهدة تلك

الرتبة العالية من النور، لأنّ بروز النور هناك سوف يكون أشدّ. لذلك، فإنّ هذه الدرجة من النور تحاكي جمال الشمس بالنسبة لنا، وتلك الدرجة من النور تحاكي جلال الشمس، فللشمس جمالٌ وجمالٌ، وهما عبارة عن لحاظين واعتبارين لنور واحد.. هل فهمتم معنى الجمال ومعنى الجلال بشكل واضح؟ والتفتم ما هي حقيقة الجمال وحقيقة الجلال؟

ولنأت الآن لنعرف سرّ المسألة، ونجيب عن هذا السؤال: لماذا يكون هناك حجاب بين الإنسان وبين الله؟ بل ما هو معنى الحجاب والستار هنا؟ فليس هناك حجاب بيننا وبين الشمس التي نشاهدها؛ لأنّ الحجاب المتصوّر بيننا وبين الشمس إنّما هو عدم قدرتنا على إدراك المراتب العالية من النور وعدم استطاعتنا على النظر والمشاهدة، ولا يوجد شيء آخر يكون حجاباً، فلو أزلنا ضعفَ بصرنا وعيوننا لتصبح عيوننا حادةً قويةً وقادرةً على النظر، فسوف نتمكن حينئذٍ من المشاهدة، وهو ممّا لا شكّ فيه، لأنّ من يقوِّي عينه ويمرّنها على النظر ويستعمل الكحل والأدوية الخاصّة بذلك، أو كما هو المعروف عند عوام الناس من أنّ من يستعمل "هليلة" لعدّة أيام.. في الصباح عند الفطور.. وذلك حسب ترتيب زمنيّ خاصّ، فهو يقوِّي العين إلى حدّ يصير بإمكانه أن ينظر إلى الشمس بشكل واضح وجليّ دون أيّ ألم.

لأجل ذلك، فإنّ سبب عدم رؤية الناس للشمس يعود إلى ضعفِ بصرهم، والحجاب الواقع بينهم وبين الشمس هو ضعفٌ

بصرهم.. وضعفُ الرؤية.. وإلاّ فلا حجابٍ آخر بين العين والشمس، ولا أثرَ لوجود أيّ ستار.. ولا وجود لطبقةٍ في السماء تمنعُ عن رؤية السماء.. أو وجود طبقات من الغيوم الكثيفة تقفُ مانعاً أمام الإنسان حينما يريد أن ينظر إلى الشمس!! أو أنّ الشمس تولّد من ذاتها نوعاً من الذبذبات والأمواج التي تمنع من خروج النور، لتقول للإنسان: لا حقّ لك في الرؤية.. لا أبداً.. لا مجال لكلّ هذا الكلام ولا معنى له.. فالشمس تعطي النور وبس.. وما ندركه من نور الشمس يسمّى جمالاً، والنور الذي هو فوق رتبنا وأشد من وجودنا هو جلال، والسبب في عدم إدراكنا للنور الوافر والكثير الصادر من الشمس هو أنّه نور شديد وقويّ.. وسببه ضعف عيوننا بحيث أننا عاجزون عن إدراك مقام الجلال؛ وعليه فلا وجود لأيّ نوع من الحجاب والستار، لأنّهما أمرٌ عدميّ لا وجود له مقابل صفات الشمس، فلا يمكننا عدّ الحجاب والستار شيئاً موجوداً في قبال وجود أحد صفات الشمس، لا يمكننا أن نقول: هناك نورٌ وحجاب! أو هناك نور وستار!!

فله العليّ الأعلى صفاتٌ جماليّة وصفاتٌ جلاليّة وذلك حسب البيان السابق، والجلال إنّما يتحقّق بالنسبة للموجودات التي لا تستطيع أن تدرك الرتبة الأعلى، وإلاّ فإنّ الله بالنسبة لذاته لا جلال له.. ولا حجاب لديه على مستوى ذاته.. فلا حجابٌ يحجبُ ذاته بالنسبة لذاته.. ولا معنى لعنواني الجمال والجلال هناك.. ونحن إنّما قسّمنا الأسماء الإلهيّة إلى الجلال وإلى

الجمال، بسبب ملاحظة سلسلة درجات الموجودات.. والسبب في عجزنا عن إدراك معدن العظمة، وضعفنا عن مشاهدة ذاك النور هو ضعف بصرنا، والحال أن ضعف بصرنا هو أمرٌ عدمي؛ إذن، الحجاب أمرٌ عدمي كذلك. فإنّ نتمكّن من رفع هذا الأمر العدمي - وذلك بأن نزيل الوجود الضعيف للعين، أي نزيل الجهة العدمية، بأن نكسر الماهية، ويحصل لدينا وجود قوي - حيثنذ يمكننا أن ندرك ونشاهد.

هذا خلاصة الكلام حول مسألة صفات الجمال وصفات الجلال، وما يتعلّق بالحجاب وكون حقيقته تعيّن نفس الموجودات.

فهذه المخلوقات التي خلقها الله العليّ الأعلى، إنّما خلقها ضمن دائرة قالب خاصّ لكلّ منها، وهذا القالب الوجودي هو حقيقة تعيّنهما.. وحقيقة ماهيتهما.. وحدّها الوجودي.. وهذا الحدّ الوجودي لا يدعُ هذا الموجود أن يدرك الرتبة الأعلى، وذلك لأننا محدودون بهذا الحدّ.

فلا يمكن لـ"إستكان" صغير أن يتسع لإناء أكبر من الماء، لأنّه محدود، وإنّ أراد أن يستوعب ذلك المقدار من الماء، فعليه أن يوسّع وجوده، ويكسر حدّه.. والحال أنّه بمقدار "إستكان"!! لأجل ذلك، فإنّ كلّ الموجودات التي لها حدود وتعيّنات، يكون ذاك التعيّن هو حجابها؛ هل التفتّم؟! وليس الحجاب إلاّ التعيّن والحدود الوجودية؛ أي هو ذاك الحدّ الماهوي، ومع انعدام الحدّ

الماهويّ يرتفعُ الحجاب والستار، إذن، حجابُ كلِّ موجودٍ عبارة عن وجوده وتعيّنه وكيّنونه ونطاق ماهويّته، ومع انعدام هذا الإطار وزوال النطاق الوجوديّ سوف لا يبقى بين الإنسان وبين الله شيءٌ حجب، وعليه، فلا حجاب بين الإنسان وربّه إلاّ وجود نفس الإنسان - وهذه المسألة دقيقة جداً - فذاك الوجود الذي يمثّل الحجاب والساتر يرجعُ في واقعه إلى أمرٍ عدميّ، لأنّ هذا الوجود (الحدّي) هو من حدود الوجود لا من ذاته؛ فلو زال الحدّ العدميّ سوف يرتفعُ الحجاب بشكلٍ تامّ.

ينقلُ العلامة الطباطبائي - مدّ ظلّه العالی - عن "البحار" و"الإرشاد" و"الاحتجاج" رواية عن الشعبيّ عن أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك في المجلّد السادس من "تفسير الميزان" في سورة المائدة، ضمنَ بحثٍ يدور حول النفس، حيثُ يذكرُ خلاله نقلاً عن الإمام:

"إنّ الله أجلُّ من أن يحتجبَ عن شيءٍ أو يحتجبَ عنه شيءٌ" (٧).

ويروي في توحيد الصدوق عن موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال:

٧ - الإرشاد للشيخ المفيد ١: ٢٢٤ والاحتجاج للطبرسي ١: ٣١٣ ومجّار الأنوار ٣: ٣١٠ وتفسير الميزان ٦: ١٧٢ و٨: ٦٣.

"ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور، لا إله إلا هو الكبير المتعال"<sup>(٨)</sup>.

أيّ ليس هناك ستار وحجاب بين الله العليّ الأعلى وبين خلقه إلاّ نفس الخلق، هذا الحجاب هو نفس كينونتهم ونفس موجوديّة الموجودات ذاتها، فالله مستور بغير حجاب يعرض عليه ويحجبه، ومحجوب بدون ستار يستره ويخفيه وراءه، ومعنى "لا إله إلاّ هو الكبير المتعال" هو أنّ الله أعلى من أن يتمكّن الإنسان من وضع حجاب يحجب الله غير ذات وجودها.

وكذلك يروي عن "عبد الأعلى" في كتاب "توحيد الصدوق" مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث يقول:  
"من زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك، لأنّ الحجابَ والصورة والمثال غيره، وإنّما هو واحدٌ موحدٌ، فكيف يوحد من زعم أنّه يوحد غيره؟! إنّما عرف الله من عرفه بالله، فمن يعرفه به فليس يعرفه، إنّما يعرف غيره."<sup>(٩)</sup>

فالإمام الصادق يقول: من يتخيّل أنّه يعرف الله بواسطة حجابٍ من صورةٍ أو مثال، فلم يعرف الله، وإنّما عرف تلك

٨ - التوحيد للشيخ الصدوق صفحة ١٧٩ وكذلك البحار ٣: ٣٢٧ ونور البراهين للسيد نعمّة الله الجزائريّ ١: ٢٥٤.

٩ - التوحيد للشيخ الصدوق صفحة ١٤٣ و صفحة ١٩٢ وتحف العقول صفحة ٣٢٨ وبحار الأنوار ٤: ١٦١ ونور البراهين ١: ٣٦٠ وتفسير الميزان ٨: ٢٦٥.

الحدود والصورة والحجاب والمثال، لأنّ الحجاب والصورة والمثال مغايرة لله، والله واحدٌ موحدٌ، فكيف يمكن أن يدّعي التوحيد مَنْ يظنُّ أنه يعرف الله بغيره؟! فيجب أن يعرفَ الله بالله، إذن، من لم يعرف الله بذاته لم يعرفه، وإنّما عرفَ غيره.

وهو مطلبٌ رفيعٌ جداً.. مطلبٌ دقيقٌ وعالٍ، وهو يمثلُ عينَ الحكمة والحقيقة التي بيّنت ضمن تلك الروايات الثلاث.

"تو خود حجاب خودي حافظ از میان برخيز" (١٠)

أيّ إنّ الذي يريد المعرفة، ويريدُ الوصول إلى مقام ذات الله، أو أسماء الله وصفاته، يجبُ عليه أن ينسى حدوده الوجودية ويغرق في ذلك الوجود، لا في الحد!! بل يغرق في ذاك الوجود.. الذي لا حدّ له، حينئذٍ يكون عارفاً بالله.

يعني: ارفعْ ذاك الستار.. وأزلْ ما لا وجودَ له.. حينئذٍ يصبحُ الوجودُ شيئاً آخر.. فيترقّع الوجود ويتنقل من هذه المراتب الجمالية ويرتفعُ إلى الأعلى نحوَ مراتب الجلال؛ يعني: إنّ تلك المراتب الجلالية التي كانت مستحيلة الإدراك بالنسبة إليه، تصبحُ الآن ممكنة الإدراك و ممكنة الفهم بالنسبة إليه.. حينئذٍ يأخذ الجلال عنوان الجمال.. صحيح؟!

الطفلُ وهو في المرحلة الابتدائية يعجزُ عن تعلّم العمليات الأصلية الأربعة (الجمع والطرح والضرب والقسمة)، ولو أراد الأستاذ تعليمه فسوف لا يقوى على تحمّله، لأنّه جلال بالنسبة

إليه، ولكن حينما يرتقي إلى المراحل الأعلى، سوف تتبدّل هذه الوظائف الأربعة إلى جمال بالنسبة له، وتكون قابلة للدرك والفهم، وتبقى المراتب الأعلى جلالاً، حتّى يتمكّن من الرقيّ ثانية، فيتبدّل ذاك الجلال ويصبحُ جمالاً بالنسبة له.

وعليه، فخلاصة المطلب هي: أنّ المسافة الواقعة بين الإنسان وبين الله هي حجاب الذات والموجوديّة، وإنّ تُزلّ هذه الموجوديّة فسوف لن يبقى أيّ حجاب آخر.

تو آن گنجی که از چشم دو عالم

شدی مستور در ویرا <sup>(١١)</sup> دل

روي تو ظاهر است به عالم نهران كجاست

گراو نهران بود به جهان، خود عيان كجاست <sup>(١٢)</sup>

عالم شده است مظهر حسن و جمال او

اي جان بگو که مظهر جان و جهان كجاست

ياريست مرا وراي پرده

حسن رخ او سزاي پرده

١١ - يعني: أنت ذاك الكنز المخفيّ والمستور عن عين كلا العالمين الدنيا والآخرة فأنت المخفيّ

في خرابة القلب

١٢ - يعني: جمالك ظاهر في العالم، وليس له خفاء فلو كان مخفيّاً في العالم فأيّ شيء هو يكون

عباناً في هذا العالم؟!

أصبح العالم مظهراً لحسن الحبيب وجماله، فيا محبوب قل لي: أين هو مظهر هذا العالم وأين هي

حقيقة هذا العالم!!

يقول: عندي حبيبٌ خلف الستار، جميل إلى الحدّ الذي لا  
يمكن لتمام الموجودات أن تنظر إليه، لا يمكنهم مشاهدته إلاّ من  
وراء حجاب، فهذا الستار هو تعيّنات الموجودات.

ياريسـت مرا وراي پرده  
حُسن رخ او سـزاي پرده<sup>(١٣)</sup>  
عالم همه پرده مصـور  
اشياء همه نقشهاي پرده  
اين پرده مراز تو جدا کرد  
اين است خود اقتضاي پرده  
ني ني كه ميان ما جدائي  
هرگز نكند غـطاي پرده

أَكْتُوسُ تَلَأَلَاتِ بِمُدَامِ  
أَم شُمُوسُ تَهَلَّلَتْ بِغَمَامِ  
از صفای مي و لطافت جام  
به هم آمیخت رنگ جام و مدام<sup>(١٤)</sup>

١٣ - يعني: عندي حبيب مستور وراء الستاء، ولكنّ حسن جماله طلع وظهر على الستار!  
فالعالم مثل الستار المنقّش، والأشياء في العالم كلّها صورة هذا الستار.  
فهذا الستار قطعني وحجبتني عنك، وهو علّة انعزالي عنك، فالستار يوجب البينونة بيني وبينك.  
أبدأً أبدأً، لا يقدر غطاء الستار أن يجعل بيننا البينونة  
١٤ - يعني: من صفاء الشراب ولطافة الكأس، اختلط لون الكأس ولون الشراب.

همه جام است و نيست گوئي مي

يا مدام است و نيست گوئي جام

فما الذي ينبغي فعله؟ يجب أن نرفع التعيين ونعدمه، لأنّ من يطلب الوصول إلى مقام معرفة الله، يجب عليه أن لا ينظر إلى التعيين.. ولا ينظر إلى الوجود.. ولا يدخل في الأمور التي تزيد من تعينه من: أكل الربا.. واللعب بالقمار.. شرب الخمر.. الغرق في الشهوات والنزوات.. عبودية غير الله.. والانقياد لغير أوامر الله.. فذلك يغرق الإنسان في التعيين ويبعده عن عالم الإطلاق، على الإنسان أن يترك هذه الأمور، وعلى العكس من ذلك، فإنّ عبودية الله تُعدّم الحدّ الماهويّ تزيل موجوديّته وتقربه إلى عالم الإطلاق وتدخله في عالم السعة.

وقد أجادَ هذا الشاعر حيث يقول: "هستي اندر نيستي بتوان نمود" حينما يريد أن يظهر الله وجوده في الإنسان ويظهر فيه، فعلى الإنسان أن يعدم وجوده، يعني: عليه أن يعدم حدود ذاته كي يتجلّى ذاك الوجود الإطلاقيّ، وما دمنا موجودين فنحن مقابل وجود الله:

هستي اندر نيستي بتوان نمود

---

كأنّ كلّ شيء يكون هو الكأس، وكأته ليس في الكأس شراب، وذلك بسبب شدّة اختلاطهما فلا يتميّز أحدهما عن الآخر.

مالداران بر فقير آرند جود<sup>(١٥)</sup>

خواجة إشكسته بند أنجا رود

که در أنجا پای إشكسته بود

يقول: إنَّ الشخص الذي يقوم بتضميد الجروح وتجبير الكسور، هذا الشخص إلى أين يذهب؟ ونحو أيّ منزل يتوجّه؟ يذهب حيث يوجد شخص قد كسرت قدمه، فيذهب ليعالجه ويجبّر قدمه؛ والله سبحانه إلى أيّ قلب يلتفت ويحضر؟ يأتي إلى القلب المكسور:

أنا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم<sup>(١٦)</sup>.

ولا يأتي الله في الموضع الذي يدعى فيه الأنانيّة والفردية والاستكبار والوجود، فالله لا يتوجّه نحو تلك القلوب، يعني: لا يظهر هناك نور الله، ولا أثر للعرفان هناك.

خواجه إشكسته بند أنجا رود

که در أنجا پای إشكسته بود<sup>(١٧)</sup>

١٥ - يعني: الوجود دخل في العدم، فعلى الأثرياء أن يجودوا على الفقراء (الثري هو الوجود والفقراء هم العدم).

فالشخص المجبّر (الذي يجبر العظم) هو الذي يذهب إلى البيت الذي فيه قدم مكسور (إشارة إلى أن الوجود هو الكريم وأنّ الله هو المفيض دون العدم).

١٦ - منية المرید للشهيد الثاني صفحة ١٢٣ وكذلك كتاب الدعوات لقطب الدين الراوندي صفحة ١٢٠ وعدة الداعي لابن فهد الحليّ صفحة ١٦٥ وبحار الأنوار ٧٠: ١٥٧ ولكن بدون قوله (والمندرسة قبورهم) نعم قد ورد عين هذا النص في إثنا عشر رسالة للمحقق المير داماد ٨:

١٨ وكشف الحفاء للعجلوني ٢: ٣٢٥.

نقصها آئينه وصف و كمال  
و آن حقارت آينه عزّ و جلال  
وَمَا هِيَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِيرِي  
فَظَنُّوا سِوَاهَا وَ هِيَ فِيهَا تَجَلَّتْ  
مهر رخسار تو مي تابد، ز ذرات جهان  
هر دو عالم پر ز نور و دیده نابینا چه سود<sup>(١٨)</sup>  
سألوا أحد العظماء:

ما الدليل على وجود الصانع؟

فقال في جوابه: أغنى الصباح عن المصباح.

أي حينما يطلع الصبح لا نحتاج إلى المصباح. أي إنّ الله سبحانه قد برز في جميع العوالم وتحقّق فيها، فأنت بسؤالك عن دليل يدلّ على وجود الله، تماماً كمن يسأل شخصاً آخر عن وجود نفسه!! حضرة "آقا" (السيد علي) هل اتفق لك أن سألتَ (السيد محسن) عن وجود ذاتك؟! فهو سؤال خاطئ، بل سوف يقول لك: قد أثبتّ وجود نفسك بنفس التماسك للدليل على وجودها.

١٧ - يعني: فالشخص المجبّر (الذي يجبر العظم) هو من يذهب إلى البيت الذي فيه قدم مكسور (إشارة إلى أن الوجود هو الكريم وأنّ الله هو المفيض دون العدم).

كلّ النقائص الكائنة في العالم مرآة لوصفه ومبرزة لكون الكمال منحصر به دون غيره، فهذه الحقارة والحسنة مرآة لعزة جلاله.

١٨ - يعني: وعنايتك وعطوفة جمالك تطلع على كلّ ذرات العالم ولكن العين العمياء لا تفهم ولا ترى شيئاً من هذه المسألة.

سألوا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم أنه: بما عرفت  
الله؟ فأجابهم: عرفتُ الأشياءَ بالله.

گنج پنهان است زير هر طلسم

پيش عارف شد مسمي عين اسم<sup>(١٩)</sup>

ديده حق بين اگر بودي تورا

از رخ هر ذره بنمودي تورا

وبأيّ نحوٍ من الأنحاء.. فما هي صفات الجمال حسبما  
تقدّم؟ يجب على العارف أن يزيل حدود نفسه.. ويصير قلبه  
منكسراً.. رقيق القلب.. وتصبح مرآته صافية نقيّة كي يتجلّى الله  
العليّ الأعلى فيه، وهو متوقّفٌ على بلوغ مرحلة العبوديّة، هل  
اتضح ذلك؟ حسناً.

هناك مسألة أخرى هي أنه يُقال: إنّ لله صفاتٌ ثبوتيةً  
وصفاتٌ سلبيةً، فالصفات الثبوتية مواضحة، مثل: العلم والقدرة،  
فهما صفات ثبوتية، وكذلك الحياة فإنّها صفة ثبوتية أيضاً، وأما  
الصفات السلبية التي يقولون عنها: من أنّ الله ليس بجسم، ولا  
جوهر، ليس مادّة، ليس ممكناً، لا محلّ له، ولا حالاً في محلّ..

نه مركّب بود وجسم، نه مرئی نه محلّ

١٩ - فالكنز مخفيّ تحت كلّ الطلاسم وعند العارف صار مسمي عين الاسم.

لو كان عندك عين ترى الحق واقعاً (وهو حال أحول) ولكنك ترى كلّ ذرّة صورة الحبيب  
ولكنك أحول.

بى شريك است ومعانى تو غنىّ دان خالق<sup>(٢٠)</sup>

هل هناك محلّان وموضعان في ذات الله؟ محلّ للصفات الثبوتية ومحلّ للصفات السلبية؟ لو كان كذلك للزم أن يكون الله العليّ الأعلى مجزأً إلى قسمين، ويكون مركّباً، والحال أن ذاته بسيطة، وبساطته إنّما تقتضي أن لا تتركّب ذاته من صفتين متضادتين بعنوان السلب والإيجاب؛ لذلك فإنّه لا يمكن أن يكون هناك صفات سلبية في الذات، وعليه فالصفات السلبية تعني سلب السلب والذي هو منتزَع من الوجود، وليس مركّباً، يعني حينما نقول: غير مركّب، فهو يعني أنّه مجرد، وحينما نقول: لا يرى، يعني أنّه مجرد، وحينما نقول: ليس حالاً في محلّ، فهو يعني أنّ ذو سعة وجوديّة ولا مكان له.

فكلّ الصفات الإلهية السلبية إنّما ترجع إلى سلب السلب، وجميعها يرجع إلى سلب المكان، يعني حينما نقول: إنّ الله ليس ممكناً، بمعنى أنّه واجب الوجود، فإذاً حينما نسلب الإمكان عنه نكون مثبتين لوجود واجب الوجود، لا أنّ الله <واجب الوجود> و <غير ممكن> بحيث يكون هناك صفتان حقيقتان في ذاته، فحينما نقول: هو واجب وليس ممكناً، فإنّنا ننتزع الإمكان من نفس الواجب، فالممكن إنّما يعني: غير الواجب، وحينئذٍ يكون معنى

٢٠ - فهو ليس مركّباً ولا جسماً ولا مرئياً ولا محلاً لمكان، ولا شريك له وليس له معانٍ، فاعلم

أنّه غنيّ عن كلّ هذه الأوصاف

"غير الممكن" هو الواجب، وهو سلب السلب، على نحو الانتزاع والاعتبار.

الفرق بين الصفات الانتزاعية والاعتبارية هو: أن الصفات السلبية ترجع جميعها إلى الانتزاعية، وهي عبارة عن سلب السلب، وكلها ترجع إلى سلب الإمكان؛ فليس في الله إلا الصفات الحقيقية وبس، ولا وجود لأي صفة سلبية في الله، فهي كلها اعتبارية.. صحيح؟

هناك عبارة للمرحوم الملام صدرنا - رضوان الله عليه - في المجلد الثالث من "الأسفار" حول صفات الجمال وصفات الجلال لله، حيث يقول:

"الصفة إما ايجابية وإما سلبية تقديسية وقد عبّر الكتاب عن هاتين بقوله: تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام فصفة الجلال ما جلت ذاته عن مشابهة الغير وصفة الإكرام ما تكرمت ذاته بها وتجملت؛ والأولى: سلوب عن النقائص والأعدام وجميعها يرجع إلى سلب واحد هو سلب الإمكان عنه تعالى؛ والثانية: تنقسم إلى حقيقية كالعلم والحياة وإضافية كالخالقية والرازقية والتقدم والعلية وجميع الحقيقية يرجع إلى وجوب الوجود أعني: الوجود المتأكد وجميع الإضافيات يرجع إلى إضافة واحدة هي إضافة القيومية هكذا حقق المقام وإلا فيؤدّي إلى

الانبثام الوحدهُ وتَطْرُقِ الكثرةُ إِلَى ذَاتِهِ الْأَحَدِيَّةِ تَعَالَى أَنْ ذَلِكَ  
عُلُوًّا كَبِيرًا»<sup>(٢١)</sup>.

يقول المرحوم الملاء صدرا:

<تنقسم صفات الله إلى قسمين:

القسم الأول: الصفات السلبية، ويقال لها: الصفات التنزيهية  
والصفات التقديسية.

القسم الثاني: الصفات الثبوتية، وقد تعرض القرآن الكريم  
إلى ذكر الصفات، من الصفات السلبية والثبوتية ضمن هذه الآية  
الشريفة: <sup>٨</sup>تَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ%<sup>(٢٢)</sup> حينئذٍ يصحّ أن  
يقال: الصفات الجلالية هي الصفات التي تفيد أنه تعالى أكبر من  
أن يشبهه به غيره، وأما صفات الجمال فهي الصفات التي تكرم الله  
بواسطتها وتجمّل بها.

لأجل ذلك فإنّ الملاء صدرا قد اعتبر صفات الجلال صفاتٍ  
سلبية، مستدلاً عليه بقوله تعالى <sup>٨</sup>تَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ  
وَالْإِكْرَامِ% وقال: بما أنّ الجلال بمعنى العظمة وأنها ينطبق عليها  
وصف "جلّت عن مشابهة الغير"، لذلك لا بدّ وأن نعدّ الصفات  
السلبية صفات جلالية.

ثمّ يقسم صفات الجمال الوجودية إلى قسمين:

٢١ - الأسفار الأربعة ٦: ١١٨.

٢٢ - سورة الرحمن (٥٥) الآية ٧٨.

أحدهما: الصفات الحقيقية الثابتة لله، وهي الصفات التي لا ارتباط لها مع شيء خارج عن الذات الإلهية، مثل: العلم والحياة. ثانيهما: الصفات الإضافية وهي المتعلقة بشيء خارج عن الذات، فهي صفات مضافة إلى شيء خارجي، مثل: الخالقية والرازقية.

وجميع الصفات الإلهية الحقيقية ترجع إلى وجوب وجود الله، وجميع الصفات الإضافية ترجع إلى صفة القيومية، يقول الملائ صدرا: هكذا ينبغي أن نعالج هذا البحث، وإلا لزم الاتينية في ذات الله ولال الأمر إلى الازدواجية.

وفي مقام الردّ عليه ينبغي أن يقال: آقا! إن ما تمسكت به من تفسير الآية الواردة في القرآن الكريم: <sup>٨</sup>ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ% ثم عبّرت عنه بالصفات السلبية والصفات الثبوتية، حذراً من لزوم الانثالام في الذات الإلهية، وهرباً من وقوع أيّ شرح فيها، هو كلام غير تام؛ لأننا لو التزمنا بأن الصفات السلبية هي صفات واقعية، بحيث يكون لها ثبوت واقعي في الذات الإلهية، فإنّ الكلام صحيح وتام على هذا التقدير، ولكن حقيقة الأمر هي أنّ الصفات السلبية هي سلب السلب، وهي صفات انتزاعية، لا وجود ولا تحقق لها في الذات، فصفات الجلال والجمال ليس لهما مبداءان مستقلاً بالنسبة للذات، فلا يوجد إلا صفة الحياة والعلم والقدرة، وهي بدورها تسري وتنتشر.

فالموجدات التي تمتلك قابليّة للإدراك، ولها ظرفيّة وقدرة لاستيعاب هذه الصفة، سوف تكون هذه الصفة بالنسبة لهذا الموجود صفة جمال، وأمّا بالنسبة لما هو أعلى من ذلك، حيثُ يكون النور أشدّ، يسمّى بالجلال، وعليه ينبغي أن لا نسمّي الصفات الجلالية الإلهية بالصفات السلبية، ولا نقول: بأنّ جميع الصفات الجلالية الإلهية مثل القهارية، والعظمة، والتكبر، والجبروتية، والكبريائية، والعزّ، والجلال، وأمثال ذلك، ينبغي أن لا نقول: بأنّها صفات انتزاعية ترجع إلى سلب السلب! كيف يمكن لنا أن نتفوّه بذلك؟!

قد ورد في الرواية أنّ النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم أثناء معرجه، أصابته ذرّة من نور العظمة، وفني وجود النبيّ؛ فقد عبّر عن النور بنور العظمة، لا بأنّه أمرٌ عدميّ وسلب السلب، بل حتّى لو كان سلب السلب، فإنّ مرجعه ومآله إلى الوجود، فيكون سلب السلب منتزَعٌ من الوجود، غاية الأمر أنّ له عنوان السلب، أليس كذلك؟! فالنور الذي ترشّح وأصاب حضرة النبيّ هو نور العظمة وشدة الوجود والعظمة.

وجميع الروايات الواردة فيما يتعلّق بصفات الجلال الإلهية من قريب أو بعيد، تنبئ وتحاكي تلك المراتب الجمالية الشديدة والمتراكمة إلى الحدّ الذي لا يقبل الإدراك والتصور بالنسبة للأفراد القاصرين عن بلوغ هذه المرحلة وإدراكها.

النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، في معراجهِ حيث عرج إلى الأعلى حتّى يبلغَ مقامَ العظمة، لم يستطع جبرائيل أن يتقدّم، وعدمَ تمكّن جبرائيل من التقدّم يعني أن هذا المقام أعلى منه، فهو نور شديد ووجود قويّ، فيقول هناك: لا يمكنني التقدّم لأنّ أجنحتي تحترق.. فأجنحتي من العلم.. والعلم محدود؛ وإنّ أردت أن أخطو إلى الأمام.. عليّ أن أتخلّى عن حدودي الوجوديّة.. والحال أن الله لم يخلقني مهيباً لخلع حدودي الوجوديّة.. فهذا لك يا رسول الله.. أنت الذي تستطيع أن تتخلّى عن حدودك الماهويّة، لتتحرك بوجودك ذاك.. أمّا أنا فلا أقدر على ذلك، لذلك عليّ أن أبقى، ولو تقدّمت إلى الأعلى لاحتترقت؛ يعني: كلّ ذاك العلم القويّ والقدرة القويّة وذاك الوجود القويّ المنيع سوف يختفي ويتلاشى، وسوف تتحلّل حقيقة جبرائيل إلى ماء.. وتذوب... لذلك قال: أنا لا يمكنني التقدّم.

حسناً، هل التفتّم؟ فخلاصة الأمر أن صدر المتألّهين يريد أن يقول - رضوان الله عليه -: بما أنّه ينبغي عدم إدخال شيء في الذات لأنّها محكومة بالوحدة الصرفة، يجب أن نلتزم بأنّ صفات الجلال هي صفات سلبيةّ وأمور انتزاعيّة، أما صفات الجمال فهي ذاتيّة بأجمعها، ثمّ بعد ذلك يقسم صفات الجمال إلى الحقيقيّة والإضافيّة. والحال أنّه يمكننا بكلّ سهولة أن نقول: آقا! الصّفات السلبيةّ ليست موجودة في الذات قطعاً، وإنّما الثابت للذات هو خصوص صفات الجمال وصفات الجلال، غاية الأمر أنّ الذات

متصّفة بعنوان الوحدة، وأمّا وجه تقسيمنا لها إلى عنوانيّ الجلال والجمال فهو لأجل ملاحظة القابليّات ومستوى تحمّل الموجودات وظرفيّة الماهيّات؛ وعليه، فلا تشتمل الذات على صفتين: جلال وجمال، ولا اثنيّية هناك، بل هو شيء واحد نلحظه من وجهين وباعتبارين، فالعلم القابل للتحمّل نسمّيه جمالاً، وهو برتبته الأشدّ يسمّى جلال، والقدرة كذلك، ما يتحمّل منها فهو جمال، والأعلى جلال، لا أنّ الجمال والجلال مختلفان جنساً وماهيّة وحقيقة، هذا فيما يتعلّق بكلام الملامّ صدرا.

المرحوم الحاج السبزواريّ في تعليقه على منظومته - أي في شرح منظومته - تحت عنوان: "غرر في تكلمه تعالى" في أواخر بحث الإلهيّات، يرتضي هذا الرأي ويوافق الملامّ صدرا على أنّ صفات الجلال هي سلب للسلب، ويقول: الجلال سلبُ السلب، ثمّ بعد ذلك يتورّط بتفسير هذا الشعر المشهور والمعروف، فيذكر هذه الأبيات من الشعر وهي:

جمالك في كلّ الحقائق سائرُ

وليس له إلاّ جلالك سائرُ

فيقول الحاج السبزواريّ: هذا الشعر مع حسنه وشموخه ورفعة مضامينه وشهرته، إلاّ أنّه كيف يمكننا الالتزام بأنّ الجلال سائرٌ للجمال؟! والحال أنّ الجلال هو سلب للسلب، ومن الواضح أنّ سلب السلب هو ثبوت ووجود، فهو أمرٌ وجودي، ومعه كيف

يمكن لأمر وجودي أن يكون ساتراً!!! فالساتر هو حجاب وهو  
 عدمي لا وجودي، وحيث أنه لا وجود للثبوتية في الذات الإلهية  
 ولا تضاداً في الصفات ليكون بعضها جمالاً، وبعضها جلالاً يستر  
 ذاك الجمال، فالساتر أمرٌ عدمي، يرجع إلى قصور إدراك  
 الموجودات عن إدراك العظمة، وعلى ذلك فما معنى هذا الشعر:  
 "وليس له إلا جلالك ساتر"؟! والحال أن الجلال هو سلب السلب،  
 وسلب السلب أمرٌ وجودي، فيقول: إننا قد أجبنا عن هذا الشعر  
 في السابق وفي قديم الزمان بقولنا:  
 وكيف جلال الله سترُ جماله

ولم يك سلب السلب قطّ يحاصرُ  
 أي كيف يمكن للجلال الإلهي أن يستر جماله، وليس  
 لسلب السلب القدرة على أن يحاصر ويحدّ شيئاً آخر، فما هو  
 سلب السلب؟ هو وجود، والوجود لا يصدّ ولا يمنع، بل الذي  
 يمنع هو العدم، فالسلب هو الذي يحصر.. أمّا سلب السلب  
 والذي هو وجود فهو سعة ورحابة، ولا يوجب المنع لشيء،  
 والموجب للجلال هو الحصر، وسلب السلب لا يؤدي إلى المنع  
 والحصر بأيّ نحو من الأنحاء.

وهنا يجب أن نقول لجناب الحاجّ السبزواري:  
 أولاً: إنّ التزامك بكون صفات الجلال سلباً للسلب - تبعاً  
 للمرحوم صدر المتألهين - غير صحيح. فصفات الجلال لا تغير

صفات الجمال كما بيّناه، غاية الأمر أنّها تلحظ باعتبارين  
وبعنوانين مختلفين.. هذا.

وأما قولهم بأنّ جلال الله ساتر لجماله، فلم يقصدوا أنّ  
نفس حقيقة الجلال ساتر، وإنّما يريدون أن يقولوا: إنّ الجلال  
يتحقّق في المحلّ الذي يكون فيه عنوان تعيّن، وعنوان نقص  
ماهويّ، وإلاّ فلو لم يكن هناك نقصٌ ماهويّ فلا يصدق الجلال  
ولا معنى له، ولو لم يكن التلميذ مقابل أستاذه، فلا معنى للجلال  
الناشئ من ناحية رفعة العلم، ولو لم نقيس العبد بالنسبة إلى  
المملك، فسوف لا يكون هناك أيّ معنى للجلال الناشئ من القدرة  
والعظمة، ولو لم يكن الجاهل مقابل العالم، فلا معنى لجلال  
العلم؛ إذن، الجلال إنّما يتحقّق في ما له حدود ماهويّة وقيود  
وجوديّة، أيّ له موجوديّة محدودة ومتعيّنة، وهذه الحدود والقيود  
هي التي منعت من إدراك المرتبة الأعلى ولذلك صارت بالنسبة له  
جلالا، وهنا يتحقّق عنوان الجلال؛ وعليه، فعنوان الجلال يصدق  
في كلّ موردٍ يكون هناك ساتر، أيّ حيث يكون هناك تعيّن. فهم  
لا يريدون أن يقولوا بأنّ هناك جلال يغطّي الجمال بشكل حقيقيّ  
وخارجي!! نعم؟! فكلّ ما هو فوق وأعلى من مراتب إدراكنا  
وتحمّلنا وفهمنا للجمال سوف يكون جلالا، والجمال الأعلى من  
ظرفيّتنا لا نسمّيه جمالا أصلاً، بل نطلق عليه عنوان الجلال من  
أول الأمر، وكذلك الجمال في مراحل المتنزّلة بما يتناسب مع  
الظرفيّة والحدود الماهويّة فهو جمال وليس جلالا. حينئذٍ يكون

السبب في عدم إمكانية إدراك جمال تلك الموجودات الجميلة هو بقاء ماهيتها وحدودها الوجودية، حينئذٍ يكون معنى الشعر:  
جمالك في كلِّ الحقائق سائرُ

وليس له إلا جلالك ساترُ

هو أنه يريد أن ينبئ تحقّق هذا الجمال وسريانه في كلِّ الموجودات وأنه يسعها جميعها ويسري فيها كلّها، وذلك لأنها موجودة ولها موجودية وتعيّن وتحقّق، كما ولها ضعف إدراكٍ بالنسبة للمراتب الأعلى، فما عجزتُ عن إدراكه من المراتب الأعلى فهو جلال، وعليه فالجلال إنّما يتصوّر في المحلّ الذي يكون فيه تعيّن.

هل التفتّم؟! على ذلك تكون عبارة المرحوم الحاجّ السبزواريّ حينما أجاب عن الشعر صحيحة، حيث قال:

وكيف لم يكُ سلبُ السلبِ قطّ يحصرُ

إلاّ أنّه ليس مرادهم من الجلال ما سبق، وإنّما مقصودهم منه هذا الساتر الماهويّ والتعيّن الوجوديّ الذي ما إن يوجد يؤدّي إلى وجود الجلال بتبعه.

يقول المثل المغربي:

انوار جمال اوست در ديدۀ هر مؤمن

آثار جلال اوست در سينه هر كافر<sup>(٢٣)</sup>

المؤمن يترقى بشكل دائم ويتخطى مراتب التقيّد، فتلقه أنوارُ الجمال من رأسه إلى أخمص قدمه؛ لأنّ المؤمن يترقى بشكل دائم، وكلّما يرتفع ويحلّق عالياً تصبح تلك المراتب الجلالية - التي كانت جلالاً بالنسبة إليه - جمالاً، فلا يبقى أمامه جلال حينئذ. أمّا الكافر، فبما أنّه في ابتعاد دائم، يبتعد عن رحمة الله بشكل مستمر، ويشتدّ تعينه ويقوى بشكل دائم، ويزداد حجاباه ويغلظ، حينئذٍ سوف يزداد الجلال بالنسبة له، لذلك يتوقّف ويضربُ بالعصا "بالصولجان" ويؤمرُ بالتوقّف ويمنعُ من التقدّم والرقى.. لأنّ وجوده ضعيف..

إذن، ليست آثار الجلال في صدر الكافر، وإنّما تعينه شديد.. شقاوته كثيرة.. مشقّته كثيرة.. لأنّ الحزام محكم جداً، وحينما يكون اللجام محكم جداً.. نعم؟! سوف يعجز عن الحركة نحو المراتب العالية، لأنّه مقيد بالحزام؛ وحينئذٍ سوف لن تظهر آثار الجلال في قلبه.. آثار الجلال غير موجودة في قلب الكافر.. ففي قلب الكافر ضيق ومحدوديّة وتعيّن وتقيّد شديد، وفي أيّ مكان يحلّ فيه، سوف يلقه الجلال بسوطه، ويقول له: لا تتقدّم!!

---

٢٣ - يعني: فأنوار جمال المولى تطلع في عين المؤمن، وآثار جلال الله تعالى تطلع من صدره (وهي إشارة إلى أنّ العين تبدي كلّ أسرار الإنسان وأنّ الصدر والنفس والتي يظهران عادة حين التكلّم يكشفان عن الحالات الجلالية للإنسان).

بينما نرى النبي الأكرم قد راح مع الجمال وفني في الذات الإلهية، ولعن الشيطان، وقال له <sup>٢٤</sup> وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ% يعني: اذهب ولا تقترب، لا بمعنى أن الشيطان هو مظهر للجلال؛ فأين الشيطان من جلال الله؟! فذات الله هي مظهر جلال ذاته، وأمّا الشيطان فهو موجود له تعين كبير جداً، تقيده شديد جداً، لذلك ضرب بالعصا، يعني: جميع مراتب الجلال تضربه بالصولجان قائلة: لا تقترب! لا تتجاوز مرحلة العلم! ومن الناحية الوجودية لا تتقدم! من ناحية الحياة لا تتقدم! من جهة القدرة لا تتقدم! لا تترقى أبداً! الزم حدودك وابق محبوساً هناك!

هذا المطلب الذي بيناه دقيق جداً، وقد أجبنا عن كلام الملائ صدرا وكذلك الحاج السبزواري.

حسناً، بناء على ذلك، خلاصة المطلب أن إلهنا جميل، وجماله عين جلاله، وهو شيء جيد جداً، ها!

"يا من أظهر الجميل وستر القبيح"<sup>(٢٥)</sup> ما هو القبيح؟ هي تلك الحدود الماهوية، إلا أن الجمال - أي ذاك الوجود - سار وجار.

وإن يرد الإنسان أن يبلغ مرحلة الكمال - تماماً كالطفل الذي يذهب إلى المدرسة الابتدائية - فإنه في اليوم الأول يمزق تعيناً ويعدمه وذلك بواسطة ما تعلمه من الكلمات، وهكذا في

٢٤ - سورة ص (٢٨) الآية ٧٨.

٢٥ - مصباح المتجهّد، الشيخ الطوسي، صفحة ٧٠. طباعة مؤسسة فقه الشيعة - بيروت.

اليوم الثاني ثمّ الثالث.. فيأتي ليلاً ويجلس قرب المصباح..  
ويدرس ويقرأ.. ويضغط على نفسه.. فيزاح ستار الجهل شيئاً  
فشيئاً.. ويتمزّق ذلك الحزام والتعّين.. ويتجاوز مرحلة اللعب  
والطفولة ويستترشد بالعلم ويتقدّم إلى الأمام؛ كذلك الإنسان عليه  
أن يتخلّى عن مراتبه الماهويّة.. أصلاً كيف يتسنّى للإنسان أن...  
فمن جانبٍ هو جماد، ومن طرفٍ ثانٍ هو حيوان! فالإنسان حيوان  
أيضاً، وهو صاحب شهوة وصاحب غضب ولديه وهم وغير  
ذلك.. فالإنسان منشغلٌ في ذلك ولا بدّ له من قطع هذه الأحزمة،  
ليأتي إلى الأعلى ويحلّق في مقام العبوديّة؛ ليطوي كلّ يوم  
مرحلة.. وينكشف له كلّ يوم معرفة.. ويظلّ يقطع الأحزمة حتّى  
يرتفع التعّين ويزول، فيصبح الإنسان في مقام السعة.

ثمّ إنّ لتلك السعة - بالنسبة إلى رتبتها - تعيّن وحدّ، وعليه  
أن يزيله ليدخل في عالم أوسع.. يظلّ يفعل ذلك حتّى يستطيع  
الورود في تلك العوالم.. العوالم التي كانت جلالاً بالنسبة له،  
يعني: ذاك النور الإلهيّ، ومراتب الموجودات المجرّدة والملاء  
الأعلى، والتي كانت تضرب الإنسان بعصاها قائلة له: ليس من  
حقّك التقدّم إلى هنا! إلّا أنّه حينما يقطع الإنسان اللجام ويتمزّق  
الحزام، ويرد في عالم السعة، يصبح بإمكانه الورود، فليس عليه  
أيّ حزام أو رباط، لأنّ الصولجان يُضربُ على من بحوزته حزام  
وتعّين، ولكن حينما تمزّق وانعدم فقد أصبح بإمكان الإنسان أن

يفهم، ويبلغ مقام الأسماء والصفات، ويفنى فيها، ثمّ بعد الفناء في الأسماء والصفات يفنى في الذات.

هذه خلاصة المطالب المتقدّمة والتي كانت تدور حول الجمال والجلال، وقد بينّاها حسبما وعدناكم من قبل.

والآن، حينما يعبر الإنسان إلى المراتب الجماليّة.. أي ضمن المراتب المختلفة من الجمال، ثمّ يصل إلى حقيقة الجلال في مراتبه العالية.. ماذا يظهر له حينئذٍ وكيف يشعر؟ وأي نوع من نور الله يتجلّى له؟ وهل تظهر آثار الصفات فيه؟ هذه مطالب وبحوث هامّة. إنشاء الله نبيّن ذلك إن وفقنا الله العليّ الأعلى وذلك ضمن جلسة مفصّلة ونوضّح أنّه من نوع هو ذاك النور؟ والإنسان في هذه المرحلة، أي نوع من ظهور الله يكون؟ وما معنى "عبدني أطعني حتّى أجعلك مثلي أو مثلي؟" (٢٦) ثمّ ما معنى بزوغ نور الله في النفس.. ومن أي نوع هو.. بحيث تظهر جميع الموجودات للإنسان.. ولا يبقى شيء مخفيّ بالنسبة له؟ ليصبح الإنسان مركز إرادة الله.. وكلّ شيء يختاره الإنسان يكون الله قد اختاره.. وأي شيء يريد الإنسان يكون الله قد أراده. إنشاء الله أنا مدينٌ لكم بعرض هذا البحث.

نسأل الله العليّ الأعلى بحقّ المقرّبين من عتبة بلاطه أن يقطع كلّ حائل عالم التعيّن وحزائمه، وأن يخرجنا من ضيق عالم الجهات، وأن يجعلنا في فسيح عالم التجرّد والعلم والقدرة

والحياة الإلهية الواسعة، وأن يخرجنا من جميع مراتب التعيين،  
ويلحقنا بمعدن العظمة وعزّ قدس ذاته، وأن يزيل عنا تبعاً لذلك  
جميع الصفات الرذيلة التي تستوجب التقيد والتعيين.